نظرات ووقفات مع سورة الحجرات

الشيخ غازي يوسف حنينة

www.aklamona.com

سورة الحجرات هي سورة مدنية نزلت في العام التاسع للهجرة، وعدد آياتها ثماني عشرة آية، وهي من المثاني، ترتيبها في المصحف التاسعة والأربعون، في الجزء26 نزلت بعد سورة المجادلة، ترتيبها قبلها سورة الفتح وبعدها سورة ق عدد كلماتها 353 وعدد حروفها 1403وبدات بأسلوب النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. ، فيها 6نداءات وذكرت لا الناهية 10 مرات،

سُميت السورة بالحجرات نسبةً إلى حجرات زوجات النبي محمد؛ حيث كان لكل واحدة منهن حجرة في مؤخرة المسجد النبوي.

هذه السورة التي لا تتجاوز ثماني عشرة آية ، سورة جليلة ضخمة ، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة ، ومن حقائق الوجود والإنسانية . حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقا عالية وآمادا بعيدة ؛ وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة ؛ وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ، ومبادئ التشريع والتوجيه ، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات

وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كريم نظيف سليم ؛ متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم ؛ والتي تكفل قيامه أولا ، وصيانته أخيرا .. عالم يصدر عن الله ، ويتجه إلى الله ، ويليق أن ينتسب إلى الله .. عالم نقي القلب ، نظيف المشاعر ، عف اللسان ، وقبل ذلك عف السريرة .. عالم له أدب مع الله ، وأدب مع رسوله ، وأدب مع نفسه ، وأدب مع غيره . أدب في هواجس ضميره ، وفي حركات جوارحه . وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته . وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب ، وتنبثق منه ، وتتسق معه ؛ فيتوافى باطن هذا العالم وظاهره ، وتتلافى شرائعه ومشاعره ، وتتوازن دوافعه وزواجره ؛ وتتناسق أحاسيسه وخطاه ، وهو يتجه ويتحرك إلى الله .. ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانته ، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور ؛ ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم . بل يلتقي هذا بذلك في انسجام وتناسق . كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده ، كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها . بل يلتقي فيه الأفراد بالدولة ، والدولة بالأفراد ؛ وتتلاقى واجباتهما ونشاطهما في تعاون واتساق .

تعريف عام بسورة الحجرات

أنزل **الله سبحانه وتعالى سورة الحجرات على الرسول الكريم –عليه الصّلاة والسّلام– بعد الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، لذلك تُصنّف سورة الحجرات ضمن السّور المَدنيّة، وتُركّز سورة الحجرات على الأخلاق ومظاهر الاحترام والتأدّب مع الرسول –عليه الصّلاة والسّلام–، فالله سبحانه وتعالى يأمر الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم– ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي –عليه الصّلاة والسّلام–، ويُعلّمهم الطّريقة الصّحيحة لمناداته والتّعامل معه، كما يأمر الله سبحانه وتعالى إلى احترام حُرمات حجرات وبيوت أمّهات المُؤمنين، والتقيُّد بتنفيذ أوامر الرسول الكريم وطاعته وعدم مُخالفته.**

عدد آيات سورة الحجرات ثماني عشرة آيةً، تقع في ترتيب المصحف الشريف في المركز التّاسع والأربعين بين ترتيب سور القرآن الكريم، في الجزء السادس والعشرين، وترتيبها بين أحزاب القرآن الكريم الحزب الثاني والخمسين، وموقعها ضمن الرُبعين السادس والسابع، وجاء نزول سورة الأحزاب بعد سورة المُجادِلة.

موضوعات سورة الحجرات

تورد سورة الحجرات في سياق آياتها الكلام في عدّة موضوعات أخلاقيّة، منها ما يأتي:

1. مُخاطبة المؤمنين بألا يقولوا على الله ورسوله في دين الله بما لا يعلمون، وأن يتّقوا الله سبحانه وتعالى.
2. توجيه الصّحابة إلى ضرورة توقير الرّسول –عليه الصّلاة والسّلام– وعدم رفع أصواتهم عند رسول الله.
3. التأدّب مع الرسول الكريم وعدم مُناداته من وراء الحجرات.
4. توجيه المسلمين بالتوثّق من الأخبار قبل نقلها؛ حتى لا يُؤدّي إلى الفساد وإيقاع الأذى بالناس.
5. تفضيل الإيمان وفضله، وإنعام الله على المسلمين بتفضيلهم الإيمان على الكفر، وتزيينه الإيمان في قلوب المؤمنين.
6. الحديث عن قواعد الخلاف في الإسلام بين المؤمنين والطريقة الإيمانيّة الصحيحة في التّعامل معها ومُعالجتها.
7. النهي عن السّخرية من الآخرين.
8. النهي عن إطلاق الألقاب ومُنادة الناس بألقابهم.
9. توجيه المسلمين بالبعد عن الظنّ والتجسّس على الناس والغِيبة التي مَثَّلت لها الآيات بأبشع الصّور؛ فالذي يغتاب الناس كمن يأكل لحم أخيه الميت.
10. تعريف الناس بميزان التّفاضل بينهم وهو التقوى.

11. الله سبحانه وتعالى جعل البشر شعوباً وقبائل بهدف التعارف وتبادل الخبرات البشريّة مُتعدّدة النفع، لا التمييز والعنصريّة.
12. أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان الإيمان بالله سبحانه وتعالى.
علم الله سبحانه وتعالى واطّلاعه على كل ما يحدث في الكون.

فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهي ، ولا يقترح **عليه في قضاء أو حكم ؛ ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه ؛ ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأيا مع خالقه .. تقوى منه وخشية ، وحياء منه وأدبا ..**

وقد تضمّنت السورة العديد من الآداب نستعرضها فيما يلي:

1. **الأدب مع الشرع: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) آية 1 .**
2. **الأدب مع النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)** آية 2 و 3 .
3. أدب تلقّي الأخبار: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) آية 6 .
4. أدب الأخوّة بين المؤمنين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) آية 10 .
5. أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) آية 9 .
6. الآداب الإجتماعية بين المسلمين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا

كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) آية 11 و 12 .

7. أدب التعامل مع الناس بشكل عام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) آية 13 . وقد تأخر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة وهذا ليرشدنا أنه قبل أن نتعامل مع الناس بأدب علينا أن نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا وفيما بيننا حتى نتميّز بأخلاقنا وآدابنا وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الإنطباع الحسن لأن الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك. وكم من الناس دخلوا في الإسلام بأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف.
8. أدب التعامل مع الإيمان ومع الله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) آية 17 .

1. لأجل تطبيق الأوامر الإلهية في المجتمع لا بد من إيجاد حالة من الاستعداد الروحي والنفسي في الناس لتقبل ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تحقيق حالة الإيمان في الفرد والمجتمع.
2. إنّ عدم التقدُّم على الله ورسوله هو نوع من الأدب الراقي
3. تحليل الحرام وتحريم الحلال، من التقدُّم على الله ورسوله.
4. البدع، والوضع والتزوير والتحريف، والمبالغات وإدخال ما ليس من الدين فيه باسم الدين... هذا كله من التقدّم على الله ورسوله.
5. مبادئ فقهنا وسلوكنا ومفاهيمنا الحياتية يجب أن تؤخذ من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.
6. التجاوز على أوامر الله ورسوله هو نوع من عدم التقوى.
7. الحرية الخاطئة وتجاوز حقوق الآخرين هو من التقدُّم على الله ورسوله.
8. لأداء الواجبات يحتاج الإنسان إلى أمرين مهمّين: الإيمان والتقوى.
9. الالتزام العملي بأوامر الله ورسوله يجب أن يكون متضمّناً للتقوى الداخلية (السلوك يُعبّر عن الباطن). لَا تُقَدِّمُوا... وَاتَّقُوا اللهَ.

10. الأشخاص الذين يُفضّلون عاداتهم وأعرافهم الاجتماعية على أوامر الله ورسوله هم بعيدون عن الإيمان والتقوى.

11. يجب على المجتمع الإيماني نبذ التطرُّف والانقياد للقيادة الربانية لأنّ الله تعالى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿لَا تُقَدِّمُوا... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه – بإسناده – عن معاذ – رضي الله عنه – حيث قال له النبي حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله تعالى . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله قال : فإن لم تجد ؟ قال – رضي الله عنه – أجتهد رأيي . فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله .

هناك فرقا بين حرمة القرآن وقدسيته وبين ما للسنة فمن الفروق بينهما:

أ– أن القرآن يتعبد بتلاوته، بخلاف السنة.

ب– أنه لا يجوز مس المصحف إلا طاهرا [1] بخلاف كتب الصحاح.

جـ– أن الجنب لا يتلو القرآن بخلاف قراءة الأحاديث.

د– أنه تجوز رواية الأحاديث بالمعنى بخلاف القرآن.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

عبد الله بن الزبير: (أنه قَدِمَ ركب من بني تَميمٍ على النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال أبو بكرٍ: أمِّرِ القَعْقاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرارَةَ، قال عُمرُ: بل أمِّرِ الأقْرَعَ بْنَ حابِسٍ، قال أبو بكرٍ: ما أردتَ إلا خلافي، قال عُمرُ: ما أردتُ خلافكَ، فتَمارَيا حتى ارتفعت أصواتُهما، فنزل في ذلك: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا) حتى انْقَضَتْ).

[1] - المسألة خلافية كما هو معروف، ولكن لا يختلف في وجوب الطهارة من الحدث الأكبر بالنسبة لمس المصحف.

قال ابن كثير : (وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى البخاري عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي عنهما

وروي عن أبي بكر – رضي الله عنه – أنه قال لما نزلت هذه الآية : قلت : يا رسول الله ، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار "يعني كالهمس ! فما كان عمر – رضي الله عنه – يُسْمِعُ رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه ! " .

جاء في الصحيح « إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ. أبعد ما بين السماء والأرض ») .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) ﴾

افْتَقَدَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثَابِتَ بنَ قَيْسٍ، فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لكَ عِلْمَهُ، فأتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا في بَيْتِهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقالَ: ما شَأْنُكَ؟ فَقالَ: شَرٌّ؛ كانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وهو مِن أَهْلِ النَّارِ، فأتَى الرَّجُلُ فأخْبَرَهُ أنَّهُ قالَ كَذَا وكَذَا. [وفي رِوايةٍ:] فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ ببِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقالَ: اذْهَبْ إلَيْهِ، فَقُلْ له: إنَّكَ لَسْتَ مِن أَهْلِ النَّارِ، ولَكِنْك مِن أَهْلِ الجَنَّةِ» تفرد به البخاري من هذا الوجه ..)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4)﴾ الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي حجرة.

ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي، فدخلوا المسجد، ودنوا من حجرات أزواج النبي، ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله مدة ثم خرج إليهم، فقال له: واحد منهم وهو الأقرع بن حابس: يا محمد إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله: ويحك ذلك الله تعالى

"أكثرهم لا يعقلون"

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)﴾ يعني خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي، وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم.

عن زيد بن أرقم –رضي الله عنه– قَالَ: (اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ يَكُ نَبِيًّا فَنَحْنُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ يَكُ مَلِكًا نَعِشْ بِجَنَاحِهِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته بما قالوا فجاؤوا إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ: يَا مُحَمَّدُ يا محمد، فأنزل الله تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِي، فَمَدَّهَا فَجَعَلَ يَقُولُ «لقد صدق الله تعالى قَوْلَكَ يَا زَيْدُ، لِقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَكَ يَا زَيْدُ).

قال الألوسي : (واستدل العلماء بالآية على المنع من رفع الصوت عند قبره الشريف ﷺ ، وعند قراءة حديثه عليه الصلاة والسلام ؛ لأن ٥٤٢٤

وقال ابن كثير : (وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] (1) أَنَّهُ سَمِعَ صَوت رَجُلَيْنِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (2) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَجَاءَ، فَقَالَ: أَتَدْرِيَانِ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ ثُمَّ قَالَ: مِن أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ. فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا)

حرمة النبي ρ ميتا كحرمته حيا. – ذكر بعض العلماء أن كلامه المأثور – بعد وفاته – ρ مثل كلامه المسموع من لفظه، من حيث وجوب الإنصات، وعدم جواز رفع الصوت عند من يتلو كلامه، كما لا يجوز الإعراض عنه.

1– العمل بالأدب علامة العقل، ﴿الَّذِينَ يُنَادُونَكَ.. لَا يَعْقِلُونَ﴾.

2– إنّ سوء الأدب في التعامل مع القادة الربانيين هو مورد ذمٍّ من قِبَل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنَادُونَكَ... لَا يَعْقِلُونَ﴾.

3– إنّ البيت والأسرة لهم حرمتهم الخاصة ولا يحق لأحد انتهاكها حتى ولو برفع الصوت من خارج البيت فكيف إذا كانت هذه البيوت بيوت الأنبياء عليهم السلام. ﴿يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

4- ينبغي احترام أوقات الخلوة والراحة للآخرين. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتاج إلى أوقات للراحة والهدوء وينبغي على الآخرين احترام هذه الخصوصيات. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾.

5- إنّ المسؤولية الاجتماعية مهما تعاظمت لا ينبغي أن تضعف الاهتمام بالأسرة. ﴿صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾.

6- ينبغي علينا أن لا نيأس من معالجة الأشخاص الذين يسيؤون الأدب مع الآخرين. لأنّ الله تعالى مع كل تقريعه وتوبيخه للذين أساءوا الأدب مع رسوله طرح إمكانية المغفرة والرحمة لهم وهذا قد يؤدّي إلى تغيُّر في سلوكهم، وهذا الأمر ينبغي أن نضعه في الحسبان عندما نقوم بتأديب الآخرين. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) ﴾

1- ينبغي على المؤمنين أن يكونوا أهل تحقيق وتثبُّت ولا يطلقوا الكلام على عواهنه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... فَتَبَيَّنُوا﴾.

2- إنّ التمسُّك بالآية الكريمة وعدم الأخذ بقول الفاسق من أحد أهمّ الطرق المانعة للفتنة بين المسلمين. ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ﴾.

3- إنّ أرضية الفتنة تنشأ من خلال: سعي المنافقين لإحداث الفتنة.

4- الأصل في الإسلام هو الاعتماد على الآخرين وعدم سوء الظنّ بهم, ولكنّ الفاسقين خارجون عن هذا الأصل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى خطورة الخبر"النبأ" تستدعي التثبُّت والتبيُّن ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ ... فَتَبَيَّنُوا﴾. ولكن لا بدّ من التنبيه أنّ آية النبأ في صدد بيان وجوب التثبُّت والتبيُّن من النبأ في حال كونه في معرض العمل، فينبغي تقديم التثبُّت والتبيُّن قبل ترتيب أيّ أثر على الخبر، أمّا إذا لم يكن الخبر في معرض العمل وليس مورداً لترتيب الآثار عليه، فهذا المورد ليس خارجاً عن وجوب التثبُّت والتبيُّن بل لعلّه داخل في الآية الثانية عشر الآتية، فلا يجوز التجسُّس على الآخرين لمعرفة صحة وصدق كلامهم من عدمه، لتصنيف

الناس على أنّ فلاناً صادقاً وفلاناً كاذب، فوجوب التثبُّت يجب في الموارد التي تشملها آية النبأ وهي الأنباء والأخبار التي لها طابع وأثر اجتماعي لا فردي.

.

5- في الآية الثانية عشر الآتية قال تعالى ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ وفي هذه الآية ينبغي بل يجب الفحص والتثبُّت والتبيُّن وهو ينافي عدم سوء الظنّ بالآخرين، فكيف يمكن الجمع بينهما؟.الآية الآتية تتحدّث أنّه

من أخلاقيات المسلم أن لا يُسيء الظنّ بالآخرين وأن يتجنّب هذه الصفة القبيحة، فهي في صدد الكلام عن صِرْف النظرة الإيجابية للأفراد. أمّا آية النبأ فهي في صدد بيان وجوب التثبُّت والتبيُّن في حال إخبار الأفراد أو فرد بخبرٍ ما له أثر عملي وخطير على المجتمع أو حتى على الفرد المتلقّي للخبر، فهنا يجب الفحص لخطورة النبأ الذي يحمله الفرد، وهذا لا علاقة له بسوء الظنّ وعدمه، فلو تجرّد الفرد عن الخبر يدخل في عموم قوله تعالى ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾.

6- ينبغي على المؤمنين أن يسرعوا في التبيُّن، وذلك لوجود حرف الفاء في الآية ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾. فلا بد من دقّة وتحقيق وجهد شديد في مورد النبأ، لأنّ التسامح فيه وفي أمثاله يوجب خللاً وفساداً وابتلاء، وقد ينجرّ إلى اختلال عظيم في المجتمع، كما بيّنت الآيات التي تلي آية النبأ وهي مسألة الفتنة.

7- الفاسق يحاول دائماً إشاعة الأخبار الكاذبة أو المغلوطة بغية إشاعة الفوضى والفتنة. ﴿جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾.

8- الإيمان يقتضي التثبُّت والتبيُّن ﴿آمَنُوا ... فَتَبَيَّنُوا﴾.

9- الفاسق قد يُخبر بأخبار صادقة والآية لا تنفي هذا الاحتمال، ولا تطلب منّا تكذيب المُخبِر إذا كان فاسقاً بل تطلب منّا التثبُّت والتبيُّن من صحة وصدق الخبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾.

10- المجتمع الإسلامي، معرّض دائماً لهجمات الأخبار والدعايات الكاذبة، وعلى أفراد المجتمع أن يتمتّعوا بذكاء ووعي في مواجهة هذه الأخبار. ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

11. في مجال إدارة الشائعات والأنباء، ينبغي مواجهة الواقعة قبل وقوعها أي القيام بإجراءات وقائية فلذا لكي لا نقع في جهالة وندامة، علينا التحقيق ثم البناء طبقاً لما توصّلنا إليه من نتائج. ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾.

*ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

(إذا) في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله كما في الآية: (إذا حضر أحدكم الموت) وكقوله: (فإذا قضيت الصلاة) ولا بد للصلاة أن تنقضي.

وللكثير الحصول كما في قوله تعالى (فإذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها). ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(لإن) للأقلّ كما في آية الوضوء في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {6}) القيام إلى الصلاة كثيرة الحصول فجاء بـ (إذا) أما كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ لذا جاء بـ (إن).

أما (إن) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر او مستحيل كما في قوله تعالى (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) هنا احتمال وافتراض، و(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة (انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه) افتراض واحتمال وقوعه.

الفسق:هو الخروج [2] عن الطاعة إلى المعصية بما لا يصل إلى الكفر، وقد يطلق الفسق ويراد به الكفر، ولكنه ليس مرادا هنا.

والتبين: طلب البيان والتعرف حتى يتضح الحال.

والتثبت: هو طلب الثبات والتأني حتى يتضح الحال.

والنبأ: الخبر، وقال الراغب: لا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يكون ذا فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن.

وتنكير "فاسق" و"نبأ" للتعميم، لأنه نكرة في سياق الشرط، وهي كالنكرة في سياق النفي تفيد العموم، كما هو مقرر [3].

---

[2] - قال النسفي: الفسوق الخروج من الشيء، يقال: فسقت الرطبة عن قشرها، ومن مقلوبه:فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها، ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب.انظر تفسير النسفي 4-163.

[3] - انظر روح المعاني 26-145.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

1- يجب الالتفات إلى شخصية القائد وحكمته فأنتم من هذه الناحية ليس فيكم قائداً عادياً بل رسول الله، ﴿فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، السائر إلى الله لا إلى أهوائكم، الذي لا يدعو إلا إلى الله، ومن المحال أن يُطيعكم في كثير من الأمر، و ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الشرع وحكمه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ أي أثمتم وهلكتم، فعجزتم أنتم عن إمرار الحياة المريحة، واستمرار الحياة السعيدة، واخلدتم إلى حياة متعبة فوضى.

2- هذه الآيات تؤكّد مرّةً أخرى أنّ وجود القائد "الربإني" ضروريّ لرشد جماعةٍ ما، بشرط أن يكون مطاعاً لا مطيعاً وأن يتّبع أصحابه وجماعته أوامره لا أن يؤثّروا عليه ويفرضوا عليه آراءهم "ابتغاء مقاصدهم ومصالحهم" وهذه المسألة لا تختصّ بالقادة الربانين فحسب، بل ينبغي أن تكون حاكمة في المديرية والقيادة في كلّ مكان، وحاكمية هذا الأصل لا تعني استبداد القادة، ولا ترك الشورى[4].

3- إنّ القائد الذي يحمل الحكمة والمعرفة والبصيرة يجب على الرعية الرجوع إليه في توجيه المجتمع وتحصينه من الفتن والشبهات. وأيضاً لا يصحّ من الرعية الضغط عليه لقبول آراءهم وشهوات أنفسهم، لأنّ ذلك ليس من مصلحتهم على الإطلاق.

4- اذا أردنا أن لا نصل إلى الندامة التي تحدّثت عنها آية النبأ السابقة فعلينا اتباع تعاليم الأنبياء ﴿نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾. لأنّ لوجود الرسول في الأمة امتيازات خاصة منها أنّه بوصلة الأمان الحقيقية للمجتمع.

5- يتوقّع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشاور الآخرين، ولكن لا بدّ أن لا يتوقّع الآخرون أن يُطيعهم في شوؤنه لأنّ القرآن صرح بالمشاورة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ سورة آل عمران، الآية 159.. أما الآية في الحجرات فتقول بأنّ موقع رسول الله هو موقع من يُطاع لا من يُطيع.

[4] الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج16، ص 530.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ ... لَعَنِتُّمْ﴾. والشورى موردها الأمور التي ترجع إلى شؤون الناس لا مانع من أن يشاورهم في الأمر وهم يتشاورون فيما بينهم، أمّا كلّ ما يرجع إلى الله ورسوله فهو ليس مورد للشورى.

6- إنّ المشكلات الاجتماعية التي تعصف بمجتمعاتنا سببها ابتعادنا عن تعاليم الأنبياء عليهم السلام والعمل بأهوائنا وأذواقنا وعاداتنا وتقاليدنا بعيداً عن رسائل السماء، وهذا ما يؤدّي إلى ضياع المجتمع وتفكيكه.﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ ... لَعَنِتُّمْ...﴾.

7- ينبغي على القائد الصالح أن يكون له الاستقلال الكامل في اتخاذ الرأي والقرار المناسب - بعد المشاورة - ولا يتأثّر بضغط الآخرين عليه، هذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ ... لَعَنِتُّمْ...﴾.

8- إنّ الدين والإيمان من الأمور الفطرية التي أودعها الله تعالى في باطن الإنسان: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ..﴾.

9- الإيمان أمر قلبي، والأمور القلبية لا تتلائم وتتوافق مع الجبر والفرض والحتمية. ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ...﴾.

10- إنّ الإيمان هو زينة القلب كما أنّ الجبال والأنهار والأزهار وغير ذلك هي زينة الأرض: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الكهف، الآية 7.. والفرق بين الأمرين هو أنّ زينة الإنسان المؤمن هي الكمالات المعنوية والترقّي الروحي كما أنّ الأمور المادية زينتها الماديات.

11- إذا كان الإنسان من أهل الإيمان فعليه أن يبتعد ويبغض الكفر والفسوق والعصيان. ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ... كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ... ﴾.

12- إنّ الإنكار القلبي - الكفر - هو مقدّمة لكلّ الشرور والمفاسد فالجحود هو أساس كل المعاصي، ولذا الآية قدّمت "الكفر" ثم ثنّت "بالفسوق والعصيان".

13- التنفّر والبعد عن المعصية والكفر والفسق هو أمر فطري، كما أنّ الإيمان وطاعة الله هي فطرية أيضاً. وإنّ هذا التنفّر هو الذي يوصل المؤمن إلى الرشاد: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. والعكس صحيح فإنّ عدم التنفّر من هذه الأمور يوصل إلى عدم الرشد: ﴿وَكَرَّهَ... أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.